المحاضرة الثانية عشر: أدب الطفل والخيال العلمي

.1مدخل إلى العلاقة بين أدب الطفل والخيال العلمي

يُعدّ الخيال العلمي من أغنى الأجناس الأدبية قدرةً على تنمية الفكر والإبداع لدى الطفل، إذ يجمع بين المعرفة العلمية والتصوّر الخيالي في إطار قصصي ممتع يُغذّي العقل ويُثير الفضول. فالطفل في مرحلة النمو المعرفي يتّسم بفضول فطري ورغبة دائمة في الاكتشاف، والخيال العلمي يشكّل وسيلة مثالية لتوجيه هذا الفضول نحو الفكر العلمي والابتكار والتساؤل المنهجي.

ظهر الخيال العلمي في أدب الطفل العربي مع تطور الاهتمام بالتربية العلمية الحديثة، وتأثرًا بما عرفه الأدب الغربي من أعمال رواد مثل جول فيرن (Jules Verne) وهربرت جورج ويلز (H. G. Wells) ، ثم وجد صداه في العالم العربي عند كتّاب مثل يعقوب الشاروني، نجيب محفوظ في قصصه التعليمية الأولى، وكامل كيلاني الذي حاول تقديم قصص ذات بعد خيالي علمي تربوي.

.2أنواع الخيال في أدب الطفل

أ- **الخيال غير النشط (الخيال السلبي):** هو خيال يعتمد على التلقّي دون تفاعل، حيث يكتفي الطفل بتصوّر ما يُقدّم له دون محاولة التغيير أو الإضافة، مثال: قصص الأطفال التي تعرض روبوتات تقوم بكل المهام دون إشراك الطفل في التفكير في كيفية عملها أو هدفها، تكمن قيمته في كونه: يفتح الباب أمام التصور الأوليّ للمستقبل، لكنه محدود في إعمال العقل.

ب- الخيال النشط الفعّال: يُشرك الطفل في الأحداث ويجعله جزءًا من العالم الخيالي، بحيث يتفاعل مع الأحداث ويطرح أسئلة حول أسبابها ونتائجها، مثال: قصة "رحلة إلى كوكب المعرفة" ليعقوب الشاروني، حيث يصبح الطفل مستكشفًا يبحث عن حلول علمية. تكمن قيمته في كونه: ينمّي التفكير النقدي والابتكار، ويغرس منهجية البحث العلمي.

جـ- الخيال التقديري: هو خيال يعتمد على تصوّر ما سيكون عليه المستقبل بناءً على المعطيات العلمية الحالية، مثال: قصة تتخيّل مدينة تعمل بالطاقة الشمسية في المستقبل، أو

مدرسة تعتمد على الذكاء الاصطناعي، تكمن قيمته في كونه: يغرس لدى الطفل نظرة استشرافية ويعوّده التفكير في نتائج التطور العلمي.

د- الخيال الإبداعي: هو أعلى مراتب الخيال، إذ يُحوّل الأفكار العلمية إلى ابتكارات فنية مدهشة، مثال: قصة "الطفل الذي اخترع الشمس" التي تحوّل فكرة علمية عن الطاقة إلى حكاية رمزية عن الأمل والاختراع، تكمن قيمته في كونه: يحرّك الحسّ الفني ويعزّز روح الابتكار لدى الطفل.

هـ- الخيال العملي: هو الخيال الذي يقوم على تطبيق الفكرة الخيالية في إطار علمي أو تربوي واقعي، مثال: قصة "المختبر السحري" حيث يستخدم الأبطال أدوات علمية لحلّ مشاكل واقعية بطريقة خيالية، تكمن قيمته في كونه: يربط الخيال بالتجربة، ويعلّم الطفل أنّ العلم وسيلة لتغيير الواقع لا للهروب منه.

.3**بين الخيال والوهم في أدب الطفل:** يجب التمييز بين الخيال البنّاء والوهم المضلّل:

- ✓ الخيال يعتمد على إمكانيات يمكن تحقيقها علميًا أو منطقياً، حتى لو كانت في المستقبل البعيد (كالسفر عبر الفضاء، أو الروبوتات الذكية).
- ✓ الوهم يقدّم صورًا خارقة لا تستند إلى منطق أو معرفة (كالسحر المطلق أو المخلوقات الخرافية التي لا هدف لها).
- ✓ التمييز ضروري تربويًا: لأنّ الخيال العلمي يزرع حبّ المعرفة والتجريب، بينما الوهم قد يغذّي السلبية أو الانفصال عن الواقع.

.4**أهمية الخيال في الأدب الموجّه للطفل**

- ✓ تحفيز الإبداع والابتكار: يدفع الخيال الطفل إلى البحث عن حلول جديدة وتصور عوالم لم يسبق لها مثيل، مثال: قصص الأطفال عن الروبوتات الصديقة التي تساعد الإنسان في أعمال الخير.
- ✓ تنمية التفكير العلمي: يجمع الخيال العلمي بين الدهشة والمعرفة، مما يعلّم الطفل التساؤل العلمي والبحث عن الأسباب، مثال: قصة "رحلة في قطار الزمان" التي تُبسّط مفاهيم الفيزياء بأسلوب قصصي.

- ✓ بناء الوعي البيئي والتكنولوجي: بعض القصص تتناول مشكلات البيئة أو التكنولوجيا وتوجّه الطفل نحو السلوك الإيجابي، مثال: قصة "الطفلة التي أنقذت الغابة من التلوث" تربط بين العلم والمسؤولية البيئية.
- ✓ غرس القيم الإنسانية: الخيال العلمي لا ينفصل عن القيم الأخلاقية مثل التعاون، احترام العلم، والإيمان بقدرة الإنسان على التغيير.

.5الطفولة والخيال: علاقة تكاملية

الطفل بطبيعته كائن خيالي؛ يرى في الأشياء أكثر مما هو ظاهر، ويصنع عوالم من أبسط المواد، ولذلك يُعدّ الخيال العلمي امتدادًا طبيعيًا لنشاطه الذهني، إذ يربط بين الدهشة الأولى والمعرفة المكتسبة، فالخيال في الطفولة ليس هروبًا من الواقع، بل وسيلة لفهمه وإعادة تشكيله بطريقة أكثر إبداعًا، مثال: قصة "رحلة زهرة إلى الفضاء" تمزج بين حب الطبيعة واكتشاف الكواكب، فتربط الخيال بالتعلم.

.6أهداف الخيال العلمي في أدب الطفل

- ✓ تربية عقلية علمية: تشجيع الطفل على السؤال والتجريب.
- ✓ تنمية الحس الجمالي: لأن الخيال العلمي يستخدم الصور المدهشة والأوصاف الغنية.
- ✓ بناء روح المغامرة المسؤولة: بتصوير الاكتشافات العلمية كأعمال شجاعة تخدم الإنسانية.
- ✓ غرس قيم العمل الجماعي: كثير من قصص الخيال العلمي تعتمد على فرق من الأطفال أو العلماء يتعاونون لتحقيق هدف.
- ✓ إعداد الطفل لعصر التكنولوجيا: عبر تعريفه بالمفاهيم الحديثة كالروبوتات، الفضاء، الطاقة النظيفة، الذكاء الاصطناعي.
- ✓ ربط العلم بالقيم الإنسانية والدينية: فكل تطور علمي يجب أن يخدم الإنسان لا أن يدمّره.

7 .خاتمة

إنّ الخيال العلمي في أدب الطفل ليس ترفًا سرديًا، بل هو تربية فكرية وأخلاقية تضع الطفل في قلب المستقبل، وتجعله يؤمن بأنّ الخيال هو الخطوة الأولى نحو الاختراع والاكتشاف،

فمن خلال هذا الأدب، يتعلّم الطفل كيف يستخدم خياله بوعي، وكيف يجعل من العلم أداة للخير، لا للهيمنة أو الدمار، إنه الأدب الذي يُعلّم الطفل أن يحلم، وأن يجعل من الحلم مشروعًا للحياة.